التجليات النظرية و العملية للامام الخميني في تعليم و تربية الاطفال

ان الطفل الصالح و الجدير هو رغبة طبيعة و فطرية لجميع البشر ، فالجميع يتمنى ان يكون لديه اطفال و ابناء سالمين و صالحين؛ ابناء يكونون قرة أعينهم فيزينون حياتهم و يملأوها بالافراح ، و حتى الاناس غير الجديرين ايضا يحبون ان يكون لديهم اطفال طيبين و صالحين ، الا ان مساعي و جهود و محاولات اولئك الذين تربوا في مدرسة القرآن تتجاوز هذه الرغبة الطبيعية . فهم لايريدون فقط ان يكون أطفالهم طيبين و جديرين ، و انما يريدون ان يكون أطفالهم الى جانب الاسرة و ان يكونوا نموذج وقدوة يحتذى به الناس الجديرون ايضا، فهولاء في صلاتهم و دعائهم و ابتهالم الى الله عزوجل يقولون : «رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا» (الفرقان : ٧٢)

السؤال المهم هو : كيف يمكننا ان نحقق هذا الحلم و هذه الامنية السامية و كيف نمهد الامور لاستجابة هذا الدعاء حول اطفالنا و ابنائنا؟ الاجابة هو ان تربية الطفل الجدير ترتكز على عناصر يمكن مشاهدتها بشكل واضح في كلام الائمة المعصومين عليهم السلام و في سيرة الشخصيات العظيمة المطلعة على التعاليم الدينية .

و كما نعلم ان دراسة قصص و حكايات و سيرة حياة الشخصيات الكبرى امر ممتع للجميع ، و ان الانسان قد تأثر طيلة حياته ومنذ الطفولة بالحكايات و القصص الممتعة و المدهشة لهذه الشخصيات الكبيرة وسيرة حياتهم.

فالقصص و الحكايات تترك تأثيرها على القارئ بحيث ان الاستدلال العقلى لايترك مثل هذا التأثير على الانسان ابداً و ذلك لان تطبيق موضوع التعليم التربوى و الاخلاقي يعتبر احد وسائل التعليم المؤثرة و الفاعلة و ان القصص و التمثيل ايضاً يؤديان مثل هذا الدور .

و قد تم استخدام هذا الاسلوب في القرآن الكريم ، فقد تم في بعض الايات احياناً التصريح مباشرة باتباع شخص و احياناً دون التصريح ذلك و المهم هو انه تم الاشارة الى القدوة و تعتبر قصص حياة ايوب و يوسف و سليمان و ابراهيم و موسى و نوح (عليهم السلام) كلها من مصاديق هذا الامر . و تأسيساً على ذلك نلاحظ ان القرآن استخدم طريقة عرض الشخصيات النموذجية القدوة كأسلوب اساسي للتعليم و التربية.

ان اسلوب عرض الشخصيات القدوة في اطار قصة او على شكل قصة، هو اسلوب اتخاذ العبر من حياة الاخرين . من هنا قررنا أن نقدم لمحة و روايات موجزة عن اهل البيت (ع) و بعض الذكريات الجميلة و الممتعة للأمام الخميني (ره) (هذا الرجل العظيم الذي تمكن بعد ١٤٠٠ سنة و من خلال الاتباع الصحيح و

الدقيق للسنة النبوية (ص) ، ان يوفر حياة جميلة و ممتعة له و لجميع من حوله ، حياة يمكنها ان تقدم لنا دروساً تعليمية و ارشادية جمة، قصص وحكايات وذكريات جمعناها من مصادر مختلفة و ذلك فقط من اجل تذكير اولئك الذين يتمنون السعادة لانفسهم و ابنائهم و ان نضعها في ايدي و متناول الاباء و الامهات و المشرفين على امور تربية الاطفال.

و نحاول في هذا المقال أن نقدم من خلال دراسة و اختيار الشخصيات النموذجية و القدوة بعض مبادئ التعليم و التربية للاطفال و اليافعين في اطار جميل يسترعي انتباههم . و في هذا المجال نطرح القصص بشكل منظم يحتوي على مواضع و عناوين متنوعة خاصة بالابحاث و المواضيع التربوية المهمة.

و مواضيع هذه المجموعة من القصص هي من صميم الحياة الحقيقة لرجل عظيم عاش في عصرنا و تمكن من خلال تعامله و ارتباطه العاطفي مع الاطفال و اليافعين ان يقدم اسلوبا صحيحل للتربية و التعليم لمن يبحث عن طريق سليم للحياة الانسانية السليمة .

دور القدوة في تربية الاطفال و اليافعين

رغم أن هناك اسباب و عوامل مختلفة تؤثر في تربية و تعليم الانسان و يؤدي كل منها دوراً في صياغة شخصيته ، الا أن تأثير الانسان القدوة في التربية يحظى بأهمية كبيرة . فالى جانب الاسرة، و المعلمين و الاصدقاء و الشخصيات الرياضية و الفنية ، الذين يمكنهم ان يكونوا قدوة للانسان . هناك ايضاً شخصيات اخرى مثل الحكام و علماء الدين الذين يعتبرون من الشخصيات النموذجية القدوة و الامام الخميني (ره) كان من الشخصيات التي جمعت بين الاثنين.

١- دور الحكام في اعداد النموذج و القدوة في التربية.

ان اعداد القدوة للاخلاق و العمل و دوره الاساسي في التربية يشمل جميع فئات و شرائح المجتمع و يمكن ان نذكر من ضمنها الحكام و المسؤولين.

فاذا كان المسؤولين و الجهات التنفيذية في الحكومة أناس صالحين و ملتزمين ، فسيتم على اساس المثل المعروف «الناس على دين ملوكهم» اصلاح الشعب تدريجياً، ولكن لو تهاونوا في التربية و في رقابة اعمالهم و اهوائهم النفسية والتجأوا الى الدنيا و مظاهرها، عندها سيبدأ المجتمع ايضاً بالتدريج بالابتعاد عن القيم التربوية الصحيحة و يتجه نحو الفساد الذي يسوق المجتمع الى الدمار. و انذاك سوف لاتنفع نصيحة الناصحين و سيضعف دور الصالحين في هداية الناس و سيتم عزلهم و تجاهلهم و سيستلم امور المجتمع اناس غير جديرين اناس بعيدين كل البعد عن القيم الانسانية. و قد اشار القرآن الكريم الى المصير السيىء و المهين لقوم فرعون و دور الحكام المؤثر في هذا

المجال : «فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ» (سورة زخرف : ٥٢) حيث نلاحظ هنا ان اطاعة الحكام الفاسدين هي التي افسدت مجتمعهم و حضارتهم و بالتالي تعرضوا هم للابادة ايضاً.

يقول الامام على (ع) في هذا المجال : «فليست تصلح الرعية الا بصلاح الولاة» . و في مكان اخر يقول : «من نصب نفسه للناس اماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه و معلم نفسه و مؤدبها احق بالاجلال من معلم الناس و مؤدبهم .

و هذا الموضوع يحظى بأهمية أكثر في الحكومات الدينية التي يتولى مسؤوليتها أهل الدين و ذلك لأن الخير و الشر في المجتمعات يتأثران جداً باسلوب عملهم و ادائهم . و روي عن النبي (ص) بأنه : «صنفان من أمتى اذا صلحا صلحت أمتي، و اذا فسدوا فسدت أمتي» . قيل : يا رسول الله و من هما ؟ قال : (الفقهاء و الامراء) .

٢- دور علماء الدين في اعداد و القدوة التربوية.

من بين النماذج الانسانية التي تساهم في اعداد القدوة هم علماء الدين و المسؤولين عن القضايا الدينية، حيث ان سلوك و كلام العلماء و الفقهاء يترك تأثيراً كبيراً على الناس و المجتمع . و اذا كان عالم الدين رجل صالح فانه سيقود المجتمع الى الصلاح و الفلاح . و فيما اذا كان فاسقاً و فاسداً فانه سيقود المجتمع الى الرذيلة و الفساد. يقول القرآن الكريم في معرض اشارته الى تأثير العلماء في اهتداء النصارى: «ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ» (مائدة: ٨٢)

و يقول الامام علي (ع) في هذا المجال :(زلة العالم كأنكسار السفينة تغرق و تغرق معها غيرها).

لذا فأن اداء و افعال جميع الذين يعتبرون بأنهم أمنا على الدين و مسؤولين عن الامور الدينية يترك تأثيراً كبيراً و اساسياً على نوع السلوك الديني للناس و تدينهم ، و الانسان بصورة عامة قبل ان يتأثر بكلام و تبليغ الامناء على الدين و المسؤولين المشرفين على الامور الدينية، يتأثر بسلوكهم و تعاملهم و افعالهم ، و لهذا السبب يعتبر اداء و افعال المسؤولين عن الدين و خاصة علماء الدين مهم للغاية في تعزيز مكانة الدين او اضعافه بين الناس . و نظراً الى مكانتهم العلمية فأن صلاحهم و فسادهم سيترك تأثيره على المجتمع ايضاً.

و القرآن الكريم يذم اولئك الذين يقولون مالايفعلون و يقول : (لم تقولون مالاتفعلون (الصف الاية ٢) . و من وجهة نظر امير المؤمنين (ع) ان دعوة الناس الى الدين و التدين سيكون مؤثراً عندما يعمل الدعاة انفسهم يما يقولون : «فان العالم بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لايستفيق من جهله بل الحجة عليه اعظم و الحسرة له الزم ،و عندالله الوم ») .

و تأسيساً على ذلك فان مسؤولية العلماء و المسؤولين عن الشؤون الدينية مسؤولية خطيرة جداً و ذلك لان افعالهم و اعمالهم ستكون نموذج و قدوة لجميع بناء المجتمع .

نظرة على المبادئ التربوية في سلوك الامام الخميني (ره).

ان الذكريات التي نقلتها أسرة الامام الخميني (ره) و اقاربة حول علاقته العاطفية بالاطفال و اليافعين تبين ان احد الجوانب التعليمية و التربوية لسماحة الامام (ره) هو اسلوب تعامله و تصرفه مع الاطفال. فمع انه كان يستقبل الاطفال بوجه مبتسم و قلب حنون، لكنه كان حساس للغاية ازاء تربيتهم تربية صحيحة و كان يدعو العوائل الى تربية الابناء تربية صالحة و الهية . و يمكن في هذا المجال العثور على أمور مفيدة للغاية من بين احاديثه و كلماته الثمينة و من خلال سيرته العملية.

اللعب مع الاطفال

ان للاباء و الامهات مسؤوليات عديدة تجاه أطفالهم و ابنائهم ينبغي الاهتمام بها و اخذها بنظر الاعتبار . و احد الغرائز التي زرعها الله عزوجل في الاطفال هي الرغبة في اللعب، و قد يكون اللعب في البداية امر غير مجدي لكنه يؤدي الى تكامل الطفل و تنمية روحه و احاسيسه اذ ان اللعب يؤدي الى تنشيط قدرته الفكرية و يكشف عن مواهبه الذاتية . و حتى ان الروايات الاسلامية قد ابدت اهتمام خاص بموضوع لعب الاطفال . فالامام جعفر الصادق (ع) يقول: (الغلام يلعب سبع سنين و يتعلم الكتاب سبع سنين و يتعلم الحلال و الحرام سبع سنين). و احدى فوائد اللعب للاطفال هو ممارسة استقلالية الارادة و تحفيز روح المبادرة و ذلك لانه اثناء اللعب ينشط الجهاز الفكري للطفل بأكمله فيشعر بالمتعة لكل خطوة ناجحة يقوم بها. و اذا سخر والداه منه و دعوه غبياً و وصفوا ما يقوم به بانه عمل غير صحيح ، فان هذا العمل يعتبر اهانة له و سيوجه اكبر صدمه نفسية لشخصيته .

ان من سبل تربية و تنمية شخصية الطفل هو مشاركة الكبار في اللعب معهم ، فعندما يشارك الاب أو الام في اللعب مع الاطفال ، و يساعدوهم في نشاطاتهم الطفولية سيشعر الطفل في ذاته بان مايقوم به عمل قيم و مهم لدرجة بحيث ان الام و الاب قد التحقا به و بادرا بمشاركته في اللعب، و مثل هذا العمل يحيى الشعور بالشخصية لدى الطفل و بالتالي تزداد ثقته بنفسه و يزداد شعوره بالاستقلالية. و لهذا يعتبر موضوع مشاركة الكبار في اللعب مع الاطفال أمر مهم جداً في البرامج التعليمية و التربوية و يعتبره العلماء و خاصة علماء النفس من أهم المهام التربوية للوالدين و أكدوا على ضرورة مشاركة الاب و الام في القضايا الترفيهية لاطفالهم .

الاستنتاج

يمكن الاشارة الى النقاط التالية بعنوان اهم نتائج البحث الذي ذكرناه :

١- من خلال دراسة بعض من الروايات التربوية ووفقاً لخبراء التعليم و التربية الاسلامية نجد أن الدين الاسلامي قد أكد كثيراً على التربية الدينية للابناء و خاصة التربية العبادية . حتى تتوفر للاطفال و الابناء الارضية اللازمة لبلوغ المراحل العالية للكمال . و لتحقيق هذا الهدف و جعل الاطفال يهتمون بالتعليم و اداء الفرائض الدينية ينبغي ان يتم اتخاذ التدابير اللازمة و المناسبة في هذا المجال منذ الطفولة . و بهذه الطريقة و من خلال التخطيط الدقيق ، نحاول ان نقوم بتعليم الاطفال القضايا الدينية و الاخلاقية المبدئية بأسلوب بسيط يفهمه الطفل ببساطة و يشجعه على الاداء و الالتزام بها .

٢- ان احد الجوانب التعليمية و التربوية لسماحة الخميني (ره) هو اسلوب تعامله و تصرفه مع الاطفال ، فمن جهة نراه انه كان يستقبل عادة الاطفال بوجه مبتسم و قلب حنون ، لكنه من جهة أخرى كان حساس للغاية ازاء تربيتهم تربية صحيحة و كان يدعو العوائل الى تربية الابناء تربية صالحة و الهية . بحيث نستطيع العثور على امور مفيدة للغاية في هذا المجال من خلال احاديثه و كلماته الثمينة و من خلال متابعة سيرة حياته العلمية.

و اذا امعنا النظر في تعامل الامام الخميني مع الاطفال نلاحظ ان جميع سلوكياته و تعامله مع الاطفال كانت مبنية على اساس من وعيه و رؤيته و روحه السماوية المتسامية، حيث نرى ان رغم تقدمه في العمر و رغم الامراض التي اصابته كان يلبي احتياجات الاطفال و كان يتصرف معهم كما يتصرف النبي الاكرم (ص) مع الاطفال .

٣- ان الامام الخميني (ره) كان يحب جميع الاطفال الذين هم مظهر من مظاهر النعم الالهية و كان يعتبر افعالهم و اعمالهم طبيعية تتماشى مع فطرتهم و طبيعتهم و من هنا كان يعتبر مشاكساتهم و آذاهم امراً طبيعياً و فطرياً .

٤- يعتبر الامام الخميني (ره) من افضل الشخصيات النموذجية القدوة للعوائل في عصرنا الراهن.

سوتيتر :

- ❖ رغم أن هناك اسباب و عوامل مختلفة تؤثر في تربية و تعليم الانسان و يؤدي كل منها دوراً في صياغة شخصيته ، الا أن تأثير الانسان القدوة في التربية يحظى بأهمية كبيرة .
- ❖ من بين النماذج الانسانية التي تساهم في اعداد القدوة هم علماء الدين و المسؤولين عن القضايا الدينية، حيث ان سلوك و كلام العلماء و الفقهاء يترك تأثيراً كبيراً على الناس و المجتمع . و اذا كان عالم الدين رجل صالح فانه سيقود المجتمع الى الصلاح و الفلاح . و فيما اذا كان فاسقاً و فاسداً فانه سيقود المجتمع الى الرذيلة و الفساد.

- ان الذكريات التي نقلتها أسرة الامام الخميني (ره) و اقاربة حول علاقته العاطفية بالاطفال و اليافعين تبين ان احد الجوانب التعليمية و التربوية لسماحة الامام (ره) هو اسلوب تعامله و تصرفه مع الاطفال. فمع انه كان يستقبل الاطفال بوجه مبتسم و قلب حنون، لكنه كان حساس للغاية ازاء تربيتهم تربية صحيحة
- يعتبر موضوع مشاركة الكبار في اللعب مع الاطفال أمر مهم جداً في البرامج التعليمية و التربوية و يعتبره العلماء و خاصة علماء النفس من أهم المهام التربوية للوالدين و أكدوا على ضرورة مشاركة الاب و الام في القضايا الترفيهية لاطفالهم
- ان الامام الخميني (ره) كان يحب جميع الاطفال الذين هم مظهر من مظاهر النعم الالهية و كان يعتبر افعالهم و اعمالهم طبيعية تتماشى مع فطرتهم و طبيعتهم و من هنا كان يعتبر مشاكساتهم و آذاهم امراً طبيعياً و فطرياً .